سلسلة تحريف وانتحال

يا كافر!

ظاهرة تكفير المسلمين
بالمخالفات الشرعية

قول المسلم للمسلم " يا كافر! "

الإصدار
٢

سند
SANAD

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
سيدنا ونبينا محمد الأمين وآله وصحبه أجمعين

ظاهرة طارئة: انحراف الفكر

انتشرت في الآونة الأخيرة بين المسلمين ظاهرة التكفير ، وتساهل كثير من الناس فيها حتى صار سماع عبارة "يا كافر" معتادًا لدى الناس ، وقد تسبب هذا التساهل في نشر الفتنة والاجتراء على سفك الدماء وهتك الأعراض وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام ، فأصبحوا يقتتلون بذريعة وجوب تصحيح العقيدة الإسلامية أولاً ، وما ذلك إلا بسبب الأمية الدينية ونقص المعرفة بصحيح الإسلام .

س: هل يجوز أن يقول المسلم للمسلم "يا كافر" ؟

لا يجوز ذلك

لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم :
(أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ : يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ)[1] .

ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر رضي الله عنه :
(ومن دَعا رجلاً بالكفرِ أو قال يا عدوَّ الله وليس كذلك إلا حارَ عليه)[2] . ومعنى حار عليه رجع عليه أي : رجع عليه الكفر .

ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه أبو سعيد الخدري :
(ما أَكْفَرَ رجلٌ رجلاً قطُّ إلا باءَ أحدُهما بها إنْ كان كافرًا وإلا كَفَرَ بتكفيره)[3] .

١ – رواه البخاري ومسلم
٢ – رواه البخاري ومسلم
٣– رواه ابن حبان في صحيحه في كتاب الإيمان

تصور خاطئ ـ فهم خاطئ

ولكن أليس من المسلمين من يكفَّرون بتصرفاتهم؟

كل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وفرح بالحسنة وتضايق من السيئة فهو مؤمن. عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

(من سرّته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن)؛ "فليت شعري من قال لأخيه: يا كافر، وهو ممن تسره حسنته وتسوءه سيئته، لأي شيء تكون الشهادة عليه بالكفر أولى من الشهادة له بالإيمان"؟ [1].

ومن حديث الأعمش عن أبي سفيان، قال: قلت لجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة كافر؟ قال: لا، قلت: فمشرك؟ قال: مَعَاذَ الله؛ وفزع" [2].

ولكن الله تعالى قال: (ومَنْ لم يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فأولئك هُمُ الكافرون). إذًا كل الحكام الذين لا يطبقون الشريعة كفار، وكذلك كل من رضي بحكمهم من الشعوب، أليس كذلك؟

كلا، هذا ليس صحيحًا لأن الصحابة والتابعين وجمهور العلماء فسروا معنى الكفر هنا بأنه كفر دون كفر، أي أنه معصية كبيرة، لكن لا يخرج فاعلها عن الإسلام.

من قال إنه كفر دون كفر؟

قاله ابن عباس وحذيفة وطاووس ومجاهد وأحمد بن حَنْبَل وابن عبد البر وعموم المفسرين كابن جرير والفخر الرازي والبغوي والخازن والقرطبي وغيرهم [3].

وكيف يردّد كثيرًا بعض المشايخ والدعاة أن الذين لا يحكمون بما أنزل الله كفار؟

من يردد ذلك فهو يتبنى بذلك عقيدة الخوارج وليس عقيدة أهل السنة.

قال الإمام القرطبي في المُفهم: وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الكافرون﴾. يحتجُّ بظاهره من يُكفِّر بالذنوب وهم الخوارج، ولا حُجَّة لهم فيه [4].

وقال الإمام السمعاني في تفسيره: "واعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية بأن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، وأهل السنة قالوا لا يكفر بترك الحكم" [5].

١ - ابن عبد البر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، باب العين مسألة الجزء السابع عشر (١٧/١٥-٢٢).

٢ - المرجع السابق ورواه أبو يعلى والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح كما أورده نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد.

٣ - ذُكر بتوسع في المطوية الأولى.

٤ - المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبي العباس أحمد القرطبي ٢/١١٦.

٥ - تفسير الإمام السمعاني ٢/٤٢.

ظنون وأوهام عند بعض الدعاة

هل يوجد من المسلمين من يُشرك بالله شركًا أكبر يُخرجه من الإسلام؟

لا يوجد من المسلمين من يُشرك بالله شركًا أكبر يُخرج من الإسلام .

ما الدليل على ذلك؟

الدليل على ذلك هو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم مارواه عقبه بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

(إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي ، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا) [1] .

ماذا فهم العلماء من هذا الكلام النبوي؟

أثبتوا به الخوف على الأمة من التنافس على الدنيا والمؤدي لهلاكها ، ونفوا أي خوف على الأمة بالعموم من الشرك الأكبر ، كما أخبر المعصوم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ومن ذلك قول الإمام ابن عبد البر في التمهيد :

"**ومن خاف على أمة محمد ما لم يخفه عليها نبيها فقد جاء من التعسف بما لا يخفى**" [2] .

ولكن ألم يقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه مسلم: (لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعُزى)؟

نعم الحديث صحيح ولكن له تكملة يُخفيها من يستشهد بالحديث على رمي المسلمين بالشرك وهذا للأسف من الخيانة العلمية .

هل هذا معقول ؟! وما تكملة الحديث؟

عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى) . فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [3] أنّ ذلك تامٌ قال : (إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم **يبعث الله ريحًا طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان** فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم) [4] .

١ – رواه البخاري ومسلم .

٢ – التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد باب الياء ص ٢٦٤ .

٣ – (التوبة :٣٣)

٤ – رواه مسلم في صحيحه

وهنا يتضح أن عبادة اللّات والعُزّى وهي أصنام كانت تعبد في الجاهلية لن تعود إلا بعد أن يقبض الله أرواح جميع المؤمنين في آخر الزمان عند ظهور علامات الساعة الكبرى ، وهذا لم يحصل في عصرنا فالإيمان لا يزال باقيًا بفضل الله تعالى .

اعتقاد خاطئ في المسلمين

ولكن أليس القبوريون الذين يطوفون حول القبور ويعظمونها مشركين؟

فعل الطواف حول القبور حرام وليس شركًا ، لأن الشرك أن ينوي الطائف عبادة صاحب القبر وهذا غير موجود ، بل هو ينوي التقرب الى الله بالطواف حول القبر وهذا محرَّم لأن الله تعبَّدَنا بالطواف حول الكعبة وليس حول القبر .

ولكن ألم يكن المشركون يقولون نفس القول: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [الزمر٣]، والذين يطوفون حول القبور يريدون بذلك التقرب إلى الله مثل أولئك المشركين؟

كلا ، فالفرق بينهم كبير ، لأن المشركين يعترفون بأنهم "يعبدون" الأصنام لتقربهم إلى الله ، لكن جهلة المسلمين لا يعتقدون أنهم يعبدون (أصحاب القبور) ، فالفرق هنا واضح بين الفريقين .

وليس الطواف حول الشيء ، عبادة لهذا الشيء ، فنحن نطوف بالكعبة وليس طوافنا حولها عبادة لها بل لله . وكذلك من يطوف حول القبور لا يعبدونها ، ولكنهم يرتكبون إثم بدعة الطواف حول القبور والله تعالى لم يتعبَّدَهم بالطواف حولها كما قلنا سابقًا .

هل يوجد دليل آخر على عدم عودة عبادة غير الله تعالى إلى المسلمين؟

نعم توجد عدة أدلة منها ما رُوي عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم) [1] .

وما روي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ، قال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
(إِنَّ إِبْلِيسَ يَئِسَ أَنْ تُعْبَدَ الْأَصْنَامُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ ، وَلَكِنَّهُ سَيَرْضَى بِدُونِ ذَلِكَ مِنْكُمْ بِالْمُحَقَّرَاتِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، وَهِيَ الْمُوبِقَاتُ) [2] .

١ - رواه مسلم في صحيحه .

٢ - أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي .

ولكن يوجد من المشايخ والدعاة وكثير من الملتزمين من يكفرون الناس ويتهمونهم بالشرك، فكيف يكون هذا؟

هؤلاء على ضلال وخطأ ، وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة وكأنه الآن بيننا!

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : (إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ رِدْءًا لِلْإِسْلَامِ ، غَيَّرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ ، وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ) ، قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ ، الْمَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي؟ قَالَ : (بَلِ الرَّامِي)" [١] .

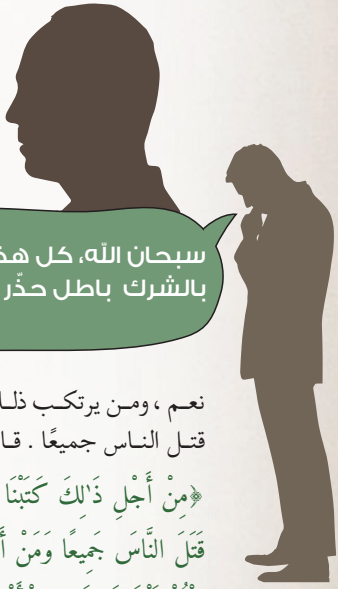

سبحان الله، كل هذا القتل والتفجير وسفك الدماء بحجة التكفير والرمي بالشرك باطل حذّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه؟!

نعم ، ومن يرتكب ذلك على خطر كبير وهو آثم مرتكب كبيرة من الكبائر وإثمه إثم من قتل الناس جميعًا . قال الله تعالى :

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [٢] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[٣] .

نسأل الله أن يحفظنا من كبيرة التكفير ورمي المسلمين بالشرك ، وأن يحقن دماء المسلمين ، وأن يهدي إخوتنا الذين ضلوا بتكفير المسلمين فساقهم التكفير إلى القتل والتفجير ، ونسأله تعالى أن يُخلّص الأمة من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو أرحم الراحمين .

١ – روى ابن حبان (٨١) ، والبخاري في "التاريخ الكبير" (٢٩٠٧) ، والبزار (٢٧٩٣) .

٢ – (المائدة ٣٢) .

٣ – رواه البخاري ومسلم .

التعامل الصحيح مع أخطاء المسلمين

إذا سلَّمنا جدلاً بأن ما أوردتموه من كلام حول خطورة رمي المسلمين بالشرك نتيجة لهذا الفعل الخطير صحيح، فهل هذا يعني أن يسكت العلماء والدعاة عن المخالفات الشرعية والبدع المنكرة السائدة في المجتمعات الإسلامية؟

لا ، إذ لا بد من أن يقوم العلماء والدعاة بواجبهم تجاه تصحيح ما يخالف الشرع مع مراعاة الآتي :

- أن يصحح الخطأ باللطف والرفق وهذا هدي نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
- الأمة بمجموعها أو طوائفها بريئة من الوقوع في الكفر أو الشرك الأكبر ، إلاَّ ما ورد به النص النبوي المحدد .
- على من يصحح أخطاء العامة أن يزيل من قلبه أي شائبة سوء ظن بالمسلمين في أفعالهم أو اعتقاداتهم وأن يعلم بأنّ وقوعهم في المخالفات لا يُجيز اتهامهم بالكفر أو الشرك ؛ وإلا لن يجدي النصح ولن يؤدي إلى النتيجة المطلوبة .
- ومن واجب العلماء احترام "تخصص التخصص" في العلوم الشرعية ، فليس لعالم الحديث أن يفتي ما لم يكن فقيها ، وليس لناقل الفتوى تسور الاجتهاد ما لم يكن فقيها .
- الدعاة من غير المتخصصين في الفقه تعظم الحاجة إليه في تقريب الشباب إلى الله ، ولكنهم ليسوا بمصدر للفتوى .
- التكفير حكم شرعي قضائي وعلى المسلم الحريص على دينه الحذر من الاجتراء عليه .

سلسلة تحريف وانتحال

قال رسول الله صلى عليه وآله وسلم (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[1]

فهم بعض أصحاب الأفكار الخاطئة كلام الله سبحانه وتعالى وكلام نبيه ﷺ بصورة لا تتسق مع المنهج العلمي الموروث عن السلف الصالح ، ولا تتناغم مع المقاصد والقيم الكبرى للوحي الإلهي .

وقصدوا بعض آيات القران الكريم التي نزلت في غير المسلمين فأنزلوها بالمسلمين وتناولوا آيات وردت على سبيل الاستثناء فجعلوا منها أحكاماً عامة وحرفوا معاني كلام الله وأحاديث نبيه الكريم بصورة أدت إلى رسوخ أو (تكوّن)مفاهيم في عقول عامة المسلمين خاطئة فادحة ، نتج عنها سلوكيات وأفعال لا صلة لها بدين الإسلام الحنيف .

نتعرّف ضمن هذه السلسلة على ما وقع فيه أصحاب هذه الأفكار الخاطئة من تحريفٍ لمعاني كلام الله وكلام رسوله ، وضلالٍ في بعض الأحكام الشرعية ، وتبنٍّ لمفاهيم مغلوطة ، بما جعلهم منفصلين عن مراد الله ورسوله وفهم السلف الصالح .

١ – حديث مشهور صححه ابن عبد البر ، وروي عن أحمد بن حنبل ؛ أنه قال : هو حديث صحيح .

سند
SANAD
www.sanad.network
twitter: @sanadnetwork
facebook.com/sanadnetwork
youtube.com/sanadnetwork

دار الفقيه للنشر والتوزيع
DAR AL FAQIH
PUBLICATION & DISTRIBUTION